مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11/ العدد: 02 (2023)، ص: 1130-1151

تربية الطفل المسلم عند أبي حامد الغزالي

Raising the Muslim child according to Abu Hamid al-Ghazali

رباحي سعاد [1]، تقرين حورية جميلة [2]

[1] جامعة المدية (الجزائر)، rebahisouad26@gmail.com

[2] جامعة خميس مليانة (الجزائر)، h.tigrine@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/29 تاريخ القبول: 2023/09/09 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية الى تسليط الضوء على ابرز اعلام الفكر الإسلامي في الحقل التربي اذ يعد احد عمالقة الفكر والتجديد في التراث الإسلامي في القرن الخامس هجري وامام من أئمة الدين ورائد من رواد التربية كان له فضل السبق في المناداة بالكثير من المبادئ التربوية الهامة قبل ان تنادي بها التربية الحديثة والمعاصرة بعدة قرون وهو من العلماء الافذاذ انه الامام وحجة الإسلام الغزالي صاحب التصانيف الحسان في الفقه وفي أصول الفقه وفي الحديث وفي الفلسفة والمنطق وفي الأخلاق والتربية كما هدفت أيضا الى الكشف عن اراء الغزالي وافكاره التربوية حول تربية الطفل والتعرف على المبادئ والأساليب التربوية التي طحها الغزالي ودعا اليها في تربيته للطفل من خلال بعض مؤلفاته ومؤلفات من تحدث عنه .

كلمات مفتاحية: الغزالي ، تربية الطفل ، الإسلام.

Abstract:

The aim of the current study was to shed light on the prominent Islamic intellectuals in the field of century AH, he thducation. One of the giants of thought and innovation in the Islamic heritage in the 5ewas an imam of religion and a pioneer

in education, with the merit of advocating many important educational principles before modern and contemporary education called for them centuries later. He is the eminent scholar and authority of Islam, Al-Ghazali, the author of excellent works in jurisprudence, principles of jurisprudence, hadith, philosophy, logic, ethics, and education. The study also aimed to uncover Al-Ghazali's educational views and ideas about child rearing, as well as to explore the educational principles and methods he advocated in raising children, as expressed in some of his writings and works of those who discussed his idea., ,.

Keywords: Al-Ghazali, Child Education, Islam.

***المؤلف المرسل:** الاسم واللقب

1. مقدمة

يشهد التاريخ العربي والإسلامي على أن رعاية الطفل وتربيته قد حظيت باهتمام كبير جسده القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكانا خير عون عل تقديم أفضل أساليب الرعاية للطفل وتربيته، وضمانا لحسن نشأته، وحمالة له من الزلل والانحراف وإساءة المعاملة. كان كتاب الله وسنة نبيه النبع الذي لا ينضب، والنور الذي أضاء بشعاعه مجالا إنسانيا مهما، ألا وهو مجال رعاية الطفل وتربيته كما كانا في غيره من مجالات الحياة.

وقد كان لهذا الاهتمام الرباني والنبوي الشريف بالطفل أثره في اهتمام الكثير من العلماء والمفكرين العرب والمسلمين بموضوع رعاية الطفل وتربيته، مما يعتبر بحق خير شاهد على عظمة هذه الأمة وعظمة مساهمتها في تراكم وتواصل المعرفة الإنسانية، خاصة تلك التي تهتم بدراسة الإنسان في نموه ونشأته، وفي معاملاته، وفي تربيته وتوجيه سلوكه، وفي رعايته، والعناية به وحفظه.

وهكذا، نجد في مسيرة حضارتنا العربية الإسلامية شموع مضيئة أنارت الطريق أمام البشرية ومهدته لها بإسهاماته الكبيرة، ليس فقط في مجال تربية ورعاية الطفل والاهتمام به وحفظ حقوقه وإعداده للحياة، بل أيضا في غيره من مجالات العلم والمعرفة.

يعتبر "أبو حامد" الغزالي مثالا لما ميز التراث العربي الإسلامي في مجال رعاية الطفل، بل مؤسس للكثير من النظم و الأساليب في مجال رعاية الإنسان في سنين حياته الأولى التي تعد من ثوابت تربية ورعاية الطفل حتى يومنا هذا، ولازلنا نجد آثارها واضحة عند العديد من مفكري التربية والرعاية. وقد سبق الغزالي بأفكاره هذه الكثير من المفكرين المحدثين الذين يدعون لأنفسهم الفضل في هذا المجال، بل إن ما نادى به الغزالي منذ أكثر ما يزيد عن 1300 سنة قد سبق حتى الإعلان العالمي حول التربية للجميع الذي صدر عن منظمة اليونيسكو وغيره عام 1990م.

وقد ضمن الغزالي آراءه وأفكاره التربوية هذه العديد من المؤلفات، منها كتابه "إحياء علوم الدين"، والمنقذ من الضلال، ورسالة عنوانها الغزالي مباشرة للولد وسماها "أيها الولد"، وكتاب السياسية. ومع كثرة وتشعب آراء الغزالي وخصبتها، أصبح من الصعب تناول كافة آرائه ووجهات نظره في هذا المجال الإنساني الهام والذي أولاه عناية واهتمام خاصين.

2. الغزالي :

1.2 شخصيته:

هو أبو حامد الغزالي ولد بطوس من أعمال خراسان سنة 450هـ - 1085م ومن المرجح أن نسبته للغزالي ترجع إلى مهنة والده وهي غزل الصوف وهناك من يقول أنها نسبة إلى غزالة وهي بلد ينسب إليها. (الذهبي، 1985).

2.2 نسبه ولقبه: هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام. (الحموي، 1992) (الزركلي، 1992، ج 7، ص 22).

ويشار إليه بالفقيه الشافعي لكونه أكبر فقهاء الشافعية في زمانه ورائد من رواد التجديد من بعده. وهو أشعري من مؤسسي المدرسة الأشعرية وعلم من أعلامها الثلاثة الذين جاءوا من بعد الأشعري، وهم الباقلاني (ت 240 هـ) ، والجويني (ت 478 هـ)، والغزالي (ت 505 هـ) ويلقب بالطوسي نسبة لطوس إحدى مدن خراسان وهي المنطقة التي شهدت مولده. (الحموي، 1906، ج 4، ص 49).

ويعرف الغزالي من خلال القاب كثيرة منها : حجة الإسلام، إمام أئمة الدين، الإمام البحر أعجوبة الزمان، زين الدين، إمام الفقهاء، جامع أشتات العلوم ... الخ

3.2 مولده ونشأته: في بلدة طوس بخراسان والواقعة على مقربة من مشهد في الشمال الشرقي من بلاد فارس، ولد أبو حامد محمد الغزالي عام (450 هـ - 1058م). (بدوي، &977، ص 20). ولد الغزالي، في عائلة فقيرة كادحة ، فلقد كان والده غزالا، مهنته غزل الصوف . وغزل الصوف كانت الحرفة التي كانت تتناقلها العائلة .

وكان للغزالي أخ "فعهد بهما أبوهما عند وفاته إلى صديق له وأوصاه أن يكملا تعليمهما ، حتى ينفذ ما تركه لهما من مال ". (بدوي، 1977 مرجع سابق، ص 32).

ففعل الصديق ما أوصاه به والد الغزالي وعلمهما حتى نفذ المال الذي تركه أبوهما ثم أوصاهما بمتابعة طلب العلم. (الأعسم، 1998 ، ص 12).

فقد كان الغزالي منذ طفولته شغوفا بالعلم والمعرفة ميالا بطبيعته إلى البحث عن الحقيقة، مهما لقى في البحث من عناء وما قابله من عقبات حيث تحمل في سبيله مشاق ذلك و من قوله في نعت نفسه " وقد كان التعطش إلى

إدراك حقائق الأمور دأبي وديدني .... من ريعان عمري غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها في جبلي ". (الأعسم، مرجع سابق، ص 17).

وفي عصر الغزالي ظهرت عقيدة الإسماعيلية أو الباطنية، وحركة الفلسفة والفلاسفة، وفي عصره كذلك اشتد الخلاف بين السنة والشيعة، كما اشتد الصراع بين الآراء والمذاهب والمعتقدات ، كما تعددت الفرق الدينية، واشتد بينها الخلاف، ورمى بعضها البعض الآخر بالانحراف أو الضلال أو الزندقة حتى اختفت الكثير من الحقائق الدينية، والمبادئ الإسلامية، وحتى اعتقد الغزالي نفسه أمام هذا الطوفان من الفرق أنه قد تحقق قول الرسول "ص" بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة .

و مما ازدهر في عصر الغزالي كذلك الدراسات الإسلامية القرآنية، والتحديثية ، و الفقهية ، والاعتيادية ، وتلاقت في عصره حضارات الأمم المختلفة، وكان هناك مزيج من فلسفة الإغريق، وحكمة الصين ، وزندقة الفرس، وصار المجتمع الإسلامي موطنا خصباً لتفاعل هذه الأفكار والآراء ، حتى أصبحت مدينة بغداد تمثل ألواناً شتى من التفكير والبحث، فهناك المفسرون ، والمحدثون، والفقهاء، والصوفية، والفلاسفة، والملاحدة، والمتكلمون .. الخ، في هذا العصر نشأ الإمام الغزالي ، حيث المجادلات العقلية، والخلافات الفقهية، والمناظرات الكلامية، والمحاورات الفلسفية، والعصبيات المذهبية، والنزاعات الإلحادية، والأهواء السياسية. (الشرباصي ، 1919، ص ص 19-18).

وقد تركت هذه الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية بصماتها واضحة على دراسة الغزالي ، وفكره وآرائه ، التي تأثر فيها بمصادر ثلاثة : الشريعة الإسلامية، والتصوف ، والفلسفة. (محمد الخطيب، وآخرون، 2003 صفحة، 443-444).

4.2 شيوخه :

1.إمام الحرمين الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ت (478 ه) نسبة إلى جوين بنواحي "نيسابو"، أحد كبار فقهاء الشافعية، ومجدد المذهب الأشعري مضمونا ومنهجاً). (الذهبي 1985، ج18، صفحة 468).

2. أحمد بن محمد الطوسي الراذكاني : وهو أول مشايخ الغزالي في الفقه ، تفقه عليه في طوس قبل رحلته إلى إمام الحرمين. (السبكي، 1964 ، ج 4، صفحة 91).

3. أبو الفضل بن محمد بن علي الفارمذي و هو شيخ خراسان في عصره، توفي بطوس سنة 477 ه (ابن العماد الحنبلي 1986، ج 2، ص 355).

4. أبو سهل محمد بن أحمد عبيد الله المروزي الخفصى راوي صحيح البخاري عن الكشميهني ، توفي سنة 465ه (ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 2، ص 325).

5.2 تلاميذه : كانت مدرسة الغزالي تضم عشرات التلاميذ المتميزين، . وقد أثر الغزالي تأثيراً كبيراً في جمهور تلاميذه ، ذكر الزبيري جملة منهم: (الزبيري، 1893م ، ج 1 ، ص 55).

-أبو النصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمان الخمدقي ، توفي سنة 544ه ، وتفقه في طوس على يد الغزالي.

- أبو بكر بن العربي، القاضي المالكي، وهو من حمل كتابه "إحياء علوم الدين" إلى المغرب العربي عند عودته من رحلته المشرقية عام 495 ه.

6.2 . آثار الغزالي (مؤلفاته) :

ترك الغزالي نحو مائتي مصنف بعضها وصل إلى أيدينا وبعضها نسمع عنه، وقد ألفت المجلدات في أسماء كتب الغزالي . ومن أشهر كتبه : ضمن آراءه التربوية "إحياء علوم الدين"، رسالة أيها الولد ، ميزان العمل. وأما ما اشتهر من مؤلفات

الإمام الغزالي قديماً و حديثاً فتذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الاقتصاد في الاعتقاد، تهافت الفلاسفة، مقاصد الفلاسفة ، بداية الهداية، عقيدة أهل السنّة، مشكاة الأنوار، المنقذ من الضلال، الذريعة إلى مكارم الشريعة، منهاج العارفين، ... الخ .

7.2 وفاته: توفي حجة الإسلام الغزالي يوم الإثنين 14/06/505 هـ وعمره خمسة وخمسون عاما في مدينة (طوس)، ويذكر شقيقه أحمد أنه لمّا كان صباح يوم الاثنين المذكور توضأ الإمام حجة الإسلام وصلى ، ولما انتهى من صلاته مد رجليه ، واستقبل القبلة ومات قبل الشروق ، ودُفن في (طابران) في طوس. (الشرباصي، مرجع سابق، صفحة 21) وانظر (الزركلي، ج 7، صفحة 247).

3. بعض آراء الغزالي التربوية: لقد تناول أبو حامد الغزالي شؤون التربية في عدد من مؤلفاته، وأهم آرائه في هذه النواحي جاءت في كتاب "فاتحة العلوم" وكتاب "أيها الولد" ثم كتاب "إحياء علوم الدين" والباحث أو الدارس لما كتب الغزالي عن التربية يجد أنه وضع نظاما تربويا كاملا يمكن للتربية المعاصرة أن تستفيد منه. ونتطرق إل بعض جوانب تربية الأطفال لدى الغزالي على النحو التالي:

1.3 : الأهداف الخاصة بتربية الصبيان وتتمثل في:

أ. **تحقيق التربية الروحية لدى الصبيان:** من خلال تعليمهم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله. (الغزالي، صفحة 63).

وإذا بلغ الطفل سن التمييز " فينبغي ألا يسامح في ترك الصلاة ويؤمر فيه بالصوم في بعض أيام رمضان " وذلك حرصا من الغزالي على تدريب الصبي منذ الصغر على الصبر ومجاهدة النفس، وتهذيب الشهوات. (الغزالي، صفحة 63). واعداده لمرحلة التخلية والتحلية، بالإضافة إلى أن اعتدال القوى من وجهة نظر الغزالي يسهل اكتساب التعليم وأداء العبادات.

ب.**غرس القيم الأخلاقية**: يحرص الغزالي على أن يعلم الصبي أن " لا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام."

فهذه السلوكيات عند "الغزالي" تعود الصبي على التواضع واحترام الغير حتى لا ينشغل بلذات الحياة الدنيا والتذكير الدائم بأنها دار ممر لا مقر، ويجب إكثار الصمت والتأمل في الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته، وذلك بتدريب الصبي على منهج الصوفية لكي يسهل انقراح روح العلم في روحه ليحظى بالسعادة في الحياة الدنيا.

ج.**اكتساب القيم الاجتماعية**: وبما أن الصبي في هذه المرحلة يبدأ بالاختلاط في المكتب بقرنائه من الصبيان ومعلميه ويتبادل معهم العلاقات التي تعكس قيم الصبي وبيئته حرص الغزالي على تهذيبه ورياضه "فينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا قريبا وأجنبيا وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والعظيم" وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله. (الغزالي، صفحة 63).

ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام من الخيانة والكذب والفحش وأن لا يخذ من الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه (البخاري، 1976، صفحة 2056).

وذلك حرصا من الغزالي على أن ينشئ أجيالا يؤمنن بآداب وقيم اجتماعية موحدة في ضوء الشريعة الإسلامية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن أبي سلمة - رضي الله عنهما – وكانت يديه تطيش في الصحفة "يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك ". (البخاري، 1976، صفحة 2056).

د.**الاهتمام بالتربية الجسمية:** دعا الغزالي إلى الاهتمام بالإعداد أو البناء الجسمي من أجل القيام بأداء العبادات حيث نصح بأن " يعود في النهار المشي والحركة

والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل " (الغزالي، صفحة 63)، وأن يمنع الصبيان " عن النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفراش الوطيئة حتى تتصلب أعضاءه ولا يسمن بدنه ولا يصبر عن النعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم " (الغزالي، صفحة 63) ، وأن يعود الصبيان على الخبز القفار في بعض الأوقات حتى " لا يصير بحيث يرى الادم حتما (الغزالي، صفحة 62). ويعود القناعة بالطعام الخشن أي طعام كان لما لكثرة الأكل من آثار قد تعوق العبد عن تحقيق السعادة الأبدية نتيجة لعدم الخشوع عند ذكر الله وإعاقته عن آداء العبادات، واشتغاله بالشهوات، لذا يرى أن للجوع فوائد عظيمة " فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب، لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبين حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلوة المعدة وهو السبب الأظهر فيه (الغزالي، صفحة 73)، ودفع النوم ودوام السهر (لأجل العبادة) فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه". (الغزالي، صفحة 74).

وبهذا يمكننا أن نحدد مجمل أهداف تربية الصبيان عند "الغزالي" بأنها التنشئة الإسلامية الحقة للصبي، لأن الإسلام يشمل تربية الروح والجسم والعقل، وقد اعتمد الغزالي على الشريعة الإسلامية كمصدر لمنطلقاته التربوية في تربية ورعاية جوانب شخصية الفرد المختلفة من الناحية الروحية والجسمية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية، بالإضافة إلى بعض الأفكار الأخرى في آرائه المستمدة من الفكر الصوفي (العجمي وآخرون، 2004، ص 213).

2.3 منهج تربية الصبيان : انطلاقا من نظرة الغزالي إلى أن تعلم بعض العلوم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وحرصه على مراعاة قدرات الصبيان في هذه المرحلة وضع معيارا يتم على أساسه اختيار المناهج وهو فائدة العلم للمتعلم والمجتمع وبذلك تأخذ العلوم الدينية حيزا كبيرا ووزنا أثقل في مناهج الدراسة من

العلوم الطبيعية وغيرها مما يبحث في أحوال الدنيا". (نوفل، 1967، صفحة 377).

ومنهج " الغزالي " هنا يركز على العلوم التي هي فرض عين على كل مسلم وهي القرآن والأحاديث، وتعليم الفرائض الإسلامية كالصلاة والصوم، وتعليم أسس الحلال والحرام بالإضافة إلى بعض العلوم المباحة كعلم التاريخ والأشعار التي لا سخف فيها، وذلك لتربية الصبي أخلاقيا واجتماعيا.

كما نجد الغزالي يركز على عدم تعليم الصبي علوم الكلام والفلسفة لأنها تشوش فكره وتزعزع عقيدته ولذلك يرى أن الطريقة الوحيدة لتثبيت العقيدة الإسلامية لدى الصبي والعامي هي: التلقين والتكرار " وليس الطريقة في تقويته وإثباته أن يعلم صناعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات". (فتحية حسن سليمان، 1964، صفحة 47).

وحرص الغزالي على أن يكون الصبي متفاعلاً مع المعلم مقبلا عليه لذا حث المعلمين أن يتركوا للصبيان فرصة للترفيه والترويح وإبعاد الملل النفسي عنهم وتنشيطهم الذاكرة من خلال الرياضة والحركة ، والمشي لكي يتحقق النشاط بعد الانتهاء من اللعب، والرجوع مرة أخرى إلى التعليم " لتنبعث دواعيه إلى التعليم ابتداء وطعماً فيما راعيناه آخر تدريجيا . (الغزالي، 1910، صفحة 142).

ونظرا لمعرفة وخبرة الغزالي الكبيرة بنفسية الصبي حيث أدرك أن كثرة التعليم المتواصل يؤدي إلى إرهاق الصبي والضغط عليه نفسيا ممّا يؤدي إلى كرهه للتعليم وإماتة القلب فيضطر إلى اللجوء للحيلة والخلاص منه وبذلك يتسرب الصبيان من الكتاتيب. لذا أهتم الغزالي بإتاحة التسلية واللعب للأطفال وقت الوسائل المتاحة. (الغزالي، 1910، صفحة 142).

وهكذا نجد أن ما دعا إليه الغزالي تنبهت إليه التربية الحديثة فشملت جميع " جوانب شخصية المتعلم لأن المتعلم لن يصل إلى الحقيقة وحده مهما نما عقله وكثر علمه، وإنما يصل إليها إذا تكاملت شخصيته من جميع جوانبها وتهذبت، ولذلك لا ينبغي أن تقتصر تربية الطفل على تعليمه في المكتب أطرافا من العلوم المختلفة بل توجه العناية إلى تهذيب نفسه ومراعاة سلوكه فتسير عملية تربية متكاملة من جميع جوانبها . (نوفل، 1967، صفحة 266).

وبهذا أصبحت الألعاب تحتل أهمية كبيرة في نمو الأطفال بمختلف الجوانب من الناحية الجسمية والعقلية واللغوية ، والاجتماعية ، وذلك لأن الأطفال يكتسبون عن طريق اللعب الكثير من الخبرات والمهارات والقدرات التي لم يكن من السهل اكتسابها من وسائل أخرى، فالطفل يميل إلى اللعب بغريزته الفطرية، كما يميل إليه بإرادته. الذاتية لأن اللعب هو أحب شيء إلى الطفل وأرغب شيء لديه. (محمد بسام ملص، 1985، صفحة 80).

و من خلال اللعب يتم النمو الاجتماعي عن طريق تكوين مفاهيم تلازم الحق والواجب فالواجب هو الأساس ولا يحصل الفرد على حق إلا إذا كان يؤدي في المقابل واجباً وهذا يشعر الطفل بأن مصالحه لا يمكن أن تتحقق إلا ضمن أو في إطار المصالح المشتركة، (محمد بسام ملص، 1985، صفحة 83) مما يتطلب علاقات متفاعلة مع الآخرين وحرصا على مشاعرهم وهذا يقوي انتماء الصبي مع الجماعة ويكسبه الأمن والتقبل مع الآخرين وهي حاجتان نفسيتان يطلبهما كل إنسان .

3.3 **أساليب تربية الصبيان:** اعتمد الغزالي أساليب متعددة ومتنوعة لتحقيق الأهداف المرتبطة بتربية الصبيان وذلك لاختلاف المواد الدراسية والمواقف التعليمية ومدى استجابة الصبيان لها وفي مقدمتها:

أ. **الإقتداء والتقليد** : يعتبر الغزالي الإقتداء والتقليد أحد الوسائل التربوية التي لها أثر مهم في تكوين شخصية الصبي ولذلك نجده يهتم في اختيار البيئة التي تحيط بالصبي من مرحلة الحضانة فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة .

ثم بعد ذلك يحفظ الصبي من قرناء السوء فأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء، (الغزالي، الإحياء، 1992، صفحة 63) ويحث على ابتعاده عن الصبيان الذين عودوا الرفاهية والتنعم ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغب فيه. (الغزالي، الإحياء، 1992، صفحة 62).

وهذا ما نادت به التربية الحديثة حيث رأت أن تحقيق الغاية المرجوة من التربية لا يمكن أن تتم على الوجه الأكمل إلا بوجود مثال حي يقتفي أثره ويحتذي حذوه ، ووجود القائد المثالي في جماعة ما أشد تأثيراً وأكبر فعلا في خلق المثالية في أفراد تلك الجماعة من مئات المحاضرات وألوف المجلدات .... وهذه الفكرة تنبئ على أن الإيحاء العملي أقوى وأشد تأثيراً من القولي، (الغزالي، الإحياء، 1992، صفحة 63). لأن الإتحاد العملي تجسيد حي أمام الصبي لما تطالب به التربية من قيم .

إذ أن القدوة الحسنة هي أنجح الوسائل المؤثرة في تربية الطفل وإعداده من جميع الجوانب الخلقية والنفسية والاجتماعية، ومن ثم كان الواجب على الوالدين أو من يقوم مقامهما أن يظهرا دائما بالصورة التي يرضاها الله سبحانه وتعالى منهما ويقرها العقل السليم. لأن من طبيعة البشر وفطرتهم أن يتأثروا بالمحاكاة والتقليد أكثر ممّا يتأثرون بالقراءة والسماع ولا سيما في الأمور العملية ومواقف الشدة وغيرها.

ب .**الحفظ**: أيقن الغزالي بحاجة الطفل إلى أساليب أخرى لتقوية الأفعال الحسنة التي اكتسبها من خلال التقليد وإزالة الأفعال السيئة والإقلاع عن العادات السيئة ومنها الحفظ لاعتباره الأسلوب المناسب لعقلية الصبي لأن الله عز وجل فطر قلب

الصبي على الإيمان فلا يحتاج إلى براهين وحجج ودلائل لإقناعه به وإنما مجرد ترسيخ الإيمان بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه فينبغي أن يقدم الصبي في أول نشوة ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئاً فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق ، وذلك مما يحصل به في الصبي بغير برهان ، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوة الإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان. (مجمد أمين المصري، 1979، صفحة 67).

ج .**التربية بالعادة :** يرى "الغزالي" أن السبيل الوحيد إلى تزكية النفس هو اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة حتى إذا صار ذلك الفعل معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان وحدث فيه هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها بحيث يصير ذلك له بالعادة كالطبع فيخفف عليه ما كان يستثقله من الخير ، (الغزالي، 1910، صفحة64 -63) ويكون ذلك أول الأمر تكلفاً وقد يبدو ثقيلاً على النفس ولكن بالتكرار يصبح عادة فمن أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فليزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له ،)الغزالي، 1910، ص 46) فيجب عليه مثلا أن يكثر التصدق في وجوه الخير وهبة المحتاجين ويدرب نفسه على تلك الأفعال باستمرار حتى يصبح عادة له ، لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أكثر إلى القلب والأمر فيه دور. (الغزالي، 1992، صفحة 49).

وقد اشترط الغزالي لتكوين العادة أمرين :

كثرة التكرار سواء كانت العادة المكتسبة حركية أو عقلية أو خلقية لأن التكرار هو الذي يساعد الإنسان على أن يصدر فعله بشكل آلي من غير فكر ولا روية،(الغزالي، صفحة 51) فيكون حفيفاً على النفس.

والأمر الثاني تقارب الزمن بين تكرار الفعل حتى يستطيع ضبط إيجابيات الفعل والقضاء على سلبياته ، فمن أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلاّ أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن. (الغزالي، صفحة 66).

4.3 الجزاء عند الغزالي : انطلاقا من نظرة الغزالي إلى الفطرة الإنسانية بأنها قابلة للخير والشر وأن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصور وهو قابل لكل ما نقش عليه ومائل إلى كل ما يمال به فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة . (الغزالي، 1910، صفحة 63). ونظرا للفروق الفردية بين الصبيان في الالتزام بما يلقى عليهم من توجيهات ورعاية لمصالحهم الضرورية رأى أنه لابد من وسائل لجذبهم إلى ما فيه الصلاح لهم ووقايتهم مما فيه الضرر بهم، وهذا لا يتأتى إلا بالثواب والعقاب.

أولاً . الثواب : حرصا من الغزالي على مداومة الصبي على الأفعال الحسنة وتكرارها أكد على ضرورة إثابة الصبي على ذلك الفعل الصادر منه وإن كان ذلك الفعل ليس ذا أهمية كبيرة فينبغي أن يكرم بما يفرح به. (الغزالي، 1910، صفحة 62).

ثانيا. اختلاف طبائع الصبيان: فقد يفرح بعضهم بالأشياء المادية المحسوسة كأن يعطى هدية أو يولي الرئاسة على الصبيان وقد يكتفي بعضهم بأن يمدح بين أظهر الناس،(الغزالي، 1910، صفحة 63) فإنه يجب على المعلم المربي أن يحاول معرفة الحافز الذي يؤدي إلى تشجيع الصبي على تكرار الأفعال الحسنة لكي تصبح عنده عادة راسخة لكثرة التكرار ، وذلك لا يتيسر إلا إذا كان المعلم فاهماً نفسية الصبيان ومجالات اهتمامهم وما يرضيهم وما يؤلمهم.

ثانيا . العقاب : لقد حرص الغزالي على إثابة الصبي على الأفعال الحسنة ، لكنه لم يستعجل عقاب الصبي عندما يصدر عنه فعل سيئ وذلك لأن الغزالي يرى أن كثرة العقاب والإفراط فيه تفقده أهميته نتيجة لعدم مبالاة الصبي بت أحياناً ، ونتيجة لعلمه بأحوال النفس البشرية اعتمد على مبدأ التدرج نجعل عقاب الصبي يمر بمراحل متعددة هي كالتالي:

أ. **التغافل** : نصح الغزالي المعلم وولي ومربي الصبي بالتغافل عن الخطأ الذي يرتكبه الصبي أول مرة بقدر الإمكان لأن مكاشفته بالمعرفة قد تزيده جسارة وإقداماً وجرأة فلا يصبح يخشى تكرار فعلته المذمومة، (الغزالي، 1910، صفحة 63).

فلا يظهر له أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا استمر الصبي واجتهد في إخفائه لأن حرصه على إخفائه، (1964، صفحة 60) اعترافاً منه على خطئه وقد يكون زلة يندم على فعلها فلا يكررها مرة أخرى ولكن يشترط "الغزالي" أن يتحقق المعلم والمربي من عدم معرفة الصبي بانتباهه إليه، لأن تركه بدون عقاب عند معرفة الصبي بانتباهه إليه يؤدي إلى استهانته بذلك الذنب الذي ارتكبه فيتكرر مرة أخرى.

ب. **التعريض** : التعريض يؤثر في الزجر والتصريح بالزجر، مما يغري بالمنهي عنه... وذلك أن النفس الفاضلة لميلها إلى الاستنباط والتنبيه للخفيات تميل إلى التعريض شخصا باستخراج معناه بالفكر، والتعريض لا يهتك حجاب الهيبة، والتصريح يرفعه بالكلية فيستفيد المنهي جزاءه على المخالفة إذا اضطر إلى المخالفة مرة أخرى. (الغزالي، 1910، صفحة 62). ويربط الغزالي بين التعريض والرحمة فلا يوبخ الصبي ولا يصرح له بما فعله حتى تتأكد إثارة مداركه بالتعريض والإشارة ليربط مواقفه بنتائجها، كي يتأكد إتباع سياسة الرحمة حتى لا تحمله على اتخاذ مواقف الجرأة على الهجوم بالخلاف أو الحرص على الإصرار. (الغزالي،

صفحة 143). وقد حث الغزالي على هذا الأسلوب تأثرا بمعاملة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه فكثيرا ما كان يقول: " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا "

جـ. الضرب : والمرحلة الأخيرة من مراحل العقاب عند الغزالي هي الضرب، وواضح من كلام الغزالي عن الضرب أنه يهتم بالأثر النفسي للعقوبة أكثر من تقيد المعلم بمقدار الضرب وطريقته فكأنه ترك الأمر مطلقا للمعلم نتيجة لثقته به لأنه نظر إلى المعلم وشفقته على المتعلم وفهمه لمصلحته من مرآة نفسه وقد طالب المعلم بالشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنية قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - :" إنما أنا لكم مثل الوالد لولده " والغزالي هنا يرى أن التعليم وتنمية المدارك لا يتحققان في تكوين الصبي إلا باهتمام مماثل بوجدان الصبي (الغزالي، 1910، صفحة 50) ولا يتأتى الجزاء كما أراده الغزالي إلاّ بمعلم ذي مواصفات فريدة.

4. **المعلم (مكانته وخصائصه):**تتجلى وتبرز فضيلة المعلم عند الغزالي من ثمرة تعليمه وهي القرب من الله عزّ وجل، وهو متصرف في قلوب البشر ونفوسهم والإنسان هو أشرف المخلوقات على الأرض وقلبه أشرف جزء فيه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله سبحانه وتعالى . (ابن حجر، 1988، صفحة 421).

ولذلك رأى أن عمل المعلم عبادة لله سبحانه وتعالى لتحقيق الأهداف التي يرمي إليها المجتمع المسلم إلى غرسها في نشئه . فمن ناحية الإعداد العلمي اهتم "الغزالي" بأن يكون المعلم ملماً بأصول العقيدة والشريعة الإسلامية لأن من واجبه أن يعلمهم الصلاة والطهارة ويعرفهم بما يلحقهم من نجاسة، (الغزالي، الإحياء، صفحة 12) بالإضافة إلى ضرورة أن يكون المعلم ملما وحافظا لكتاب الله عز وجل والسنة النبوية الشريفة والقراءة والكتابة، وإذا كان الغزالي لم ينص على

ذلك صراحة فيظهر أن السبب تعارف مجتمعه على ذلك ومما يؤكده ضرورة أن يكون المعلم ملمّا بالقرآن الكريم والسنة النبوية هو حرصه على تعليمها للصبيان من قبل المعلم وفاقد الشيء لا يعطيه.

أما من ناحية المواصفات المهنية للمعلم فينصحه الغزالي بأن يكون قدوة لهم فيبدأ بإصلاح نفسه فهم لا يكتفون بما يلقيه عليهم من معلومات ويعملون بتطبيقها وإنما أعينهم إليه ناظرة وآذانهم إليه مصغية فما استحسنه من القيم والعادات فهو عندهم حسن وما استقبحه فهو عندهم القبيح ولذلك يجب عليه أن يطبق على شخصه ما يلقيه عليهم من معلومات فلا يكذب قوله وفعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وقد استمد "الغزالي" تلك الوظيفة للمعلم من منطلق إسلامي فقد ورد في القرآن الكريم : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم" ، (سورة البقرة، جزء من الآية:44).

فالمعلم الصالح الكفء هو التجسيد الحي والواقعي لكل المبادئ المثالية والأخلاق الحميدة التي تدعو إلى ترسيخها التربية الإسلامية وتطالب أفراد المجتمع المسلم بتمثيلها والعمل على هديها فالمسألة ليست مسألة علم نظري بحث ولكنها تطبيق عملي أهم. (المنعم، 1981، صفحة 39).

والمعلم في نظر الغزالي يجب أن يكون على دراية بأخلاق الصبيان وأفعالهم وينصحهم بشتى الوسائل، فلا يقتصر دوره على تحفيظ الصبيان جملة من المعلومات فقط بل لابد أن يتحرى تطبيقهم لتلك المبالباقية.عالهم وسلوكاتهم فينهاهم عن التحريش ويكفهم عن التفتيش ويقبح عندهم القبيح ويوحش عندهم الكذب والنميمة وغيرها من الأفعال السيئة. (المنعم، 1981، صفحة 173).

و من الصفات المهنية لمعلم الصبيان أن يكون بهم شفيقا فيعاملهم معاملة الوالد لولده خصوصا أن مهمته أخطر من مهمة الوالد فالوالد سبب الوجود في

الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية . (محمد عبد السلام وآخرون، صفحة 221).

كما يجب أن يكون المعلم على درجة كبيرة من المرونة الفكرية والتصرف وإدراك طبيعة الموقف التعليمي ومتغيراته وألا يطغى على سلوكه الخوف الدائم من فقده لهيبته وسلطانه لو أنه تبسط مع تلاميذه ، (الغزالي، صفحة 49)فلكل ذلك أثره على مدى تقبل الصبي لما يلقيه عليه المعلم .

وأما فيما يخص الصفات الأخلاقية للمعلم عند الغزالي يجب أن يكون زاهدًا مترفعا عما في أيدي الصبيان يتنزه عما يعطونه و يتورع عما بين يديه يطرحونه ... ولا يسألهم عن أمر ينوء بهم فيثقلوه ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه . (المنعم، 1981، صفحة 113) وهدف الغزالي من ذلك كله أن يوفر للمعلم احتراما وتأثيراً في صبيانه نتيجة عفته ونزاهته إلى انجذابهم إليه والفهم لما يلقيه عليهم وقد استمد ذلك من تقبل المزيد وتلقيه لكل ما يقوله له شيخه.

وهكذا نجد أن الغزالي قد تأثر بمعاملة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصحابة، فقد روى معاوية ابن أبا الحاكم سلمي فقال : "بينما أنا أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله ، فرماني القوم . بأبصارهم فقلت وأثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلى جعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فو الله ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن". (مسلم، 1956، صفحة 381)

هذا وأراد الغزالي أن تكون العلاقة بين المعلم والمتعلم كعلاقة الأب بالأبناء تسودها الشفقة والرحمة والرعاية والأمن النفسي للصبيان والمكانة المؤثرة للمعلم

بسلوكه ومعاملته لا بعصاه وقدوته العظمى هو الرسول والمعلم عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم وأبجل المعلمين وأرحمهم بالمتعلمين.

وأخيرا نستنتج أن كل ما اهتم به الغزالي ودعا إليه، نادت به التربية الحديثة فأوجبت على المعلم أن يتعرف على شخصيات تلاميذه والفروق الفردية بينهم ومراعاتها ، كما يجب عليه معرفة الخصائص العامة لمرحلة نموهم وكذا المشاكل النفسية والاجتماعية التي يمرون بها وعلاجها. (حسين، صفحة 29).

5.خاتمة

بعد عرض الدراسة لبعض الأفكار التربوية للغزالي يتبين للباحثة بعض النتائج التالية:

نتائج الدراسة:

1. الغزالي علماً بارزا من أعلام الأمة الإسلامية الذين خلفوا تراثاً فكرياً وتربوياً غنيا في كثير من المجالات، وهو وإن كان مستمدا لبعض أفكاره من الفكر الصوفي، إلا أن تربية الطفل عنده جاءت في معظمها تربية إسلامية متكاملة، شملت الإنسان بأجزائه الثلاثة الروح والعقل والجسم ، وكانت في أغلبها مستمدة من مصادر الشريعة الإسلامية وسيرة السلف الصالح.

2. تعد آراء الغزالي وتوجيهاته التربوية صالحة جدا في تربية الطفل في الوقت امنه.، ذلك أن الغزالي قد وضع نظاماً تربوياً كاملاً في تربية الطفل يمكن للتربية المعاصرة أن تفيد منه.

3. تتجلى الأهداف التربوية عند أبي حامد الغزالي في التأكيد على تحقيق الوازع الديني والامتثال بشرع الله عز وجل سواء أكان بالجانب التعبدي أو الجانب الخلقي، لأن الغاية من التربية عنده هي التقرب إلى الله عزّ وجل، والدليل على ذلك طلب العلوم ومحاسن الأخلاق وفي ذلك يقول : على المعلم أن ينبه المتعلم

على أن الغرض من طلب العلوم هو التقرب إلى الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة.

4. اشتملت مؤلفات الإمام الغزالي وكذلك مراجع من كتبوا عنه على مبادئ وأساليب تربوية عديدة موجهة للطفل من بينها تهذيب الطفل أخلاقيا ، وتعويده آداب السلوك، والحث على تعليمه، وشغل وقت فراغه بالنافع حتى يبتعد الصبي عن العبث والمجون ، وخير طريق لشغل هذه الأوقات تعويد الولد القراءة ، وبخاصة قراءة القرآن الكريم، النصح بإبعاد الصبي عن قرناء السوء، ومراقبة رفقائه، وضرورة مراعاة الاستعدادات والفروق الفردية بين الأطفال، والحرص على إتاحة الفرصة له للترويح عن نفسه باللعب، وضرورة إذا الأخذ بمبدأ التشويق الطفل ، والشفقة عليه ، وممارسة التكرار والتعزيز والثواب والعقاب في تربيته ، بحيث ينصح بعدم التمادي في عقاب الصبي، وبالإقلال من التأنيب والتشهير بمساوئ الصغار، والتأكيد على أهمية المحاكاة التأنيب والتقليد والقدوة الحسنة في إكساب الأطفال السلوك الخلقي المرغوب والقيم الإيجابية.

5. تتفق التربية الحديثة في مبادئها وأساليبها مع كثير من المبادئ والأساليب التربوية التي نادى بها الغزالي والتي كانت له الأسبقية في التنبه والعمل بها مثل... الفروق الفردية التي لم يغفل عن مراعاتها في أثناء العملية التعليمية التعلمية، ومبدأ التدرج ، وإلزامية التعليم و إقامة العلاقة الطيبة بين المعلم والمتعلم التي تعد من أهم مدخلات العملية التربوية ... وغيرها . والدليل على ذلك ملاحظة أن كتب الغزالي ومؤلفاته عرفت في أومع محاولةرت، وقد تأثروا بها تأثرا مباشراً في أوائل القرن العشرين.

6.قائمة المصادر والمراجع:

1.6 المصادر:

-القرآن الكريم:

-البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة): (1976)، ت: 256هـ صحيح البخاري 9) : أجزاء)، دمشق : مطبعة الهندي.

- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت: 748 هـ . (1992) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وج8،ة، مؤالعمل،سالة، ط 8 .

- الغزالي : (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي) : ت: 505هـ . إحياء علوم الدين،(1992) ، بيروت : دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع .

- الغزالي: (أبو حامد .....)،(1910)، ميزان العمل ، القاهرة : مطبعة الجندي.

- البخاري:(شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني) : ت: 852هـ ، (1988) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري : (13 جزء)، بيروت : دار إحياء التراث العربي.

- الحموي: (ياقوت بن عبد الالسعادة، الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله): (1906) ، ت: 626هـ (معجم البلدان، 16، القاهرة : مطبعة السعادة .

- الزركلي: (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: ت 1396هـ)، (1992) ، الأعلام ، ط 10 ، دار العلم للملايين .

- ابن العماد العكر (عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح:) ت:1089 هـ (1986) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير.

- أحمد الشرباصي، الغزالي، دار الجيل، بيروت، 1979م

- تاج الدين السبكي: (عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي السبكي، أبو النصر) ، ت : 771هـ ، (1964) ، طبقات الشافعية تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار فيصل عيسى البابي الحلبي.

- عبد الرحمن بدوي ، (1977) ، مؤلفات الغزالي ، ط 2، الكويت : وكالة المطبوعات.

- محمد الخطيب، ومصطفى متولي وآخرون، (2003) ، أصول التربية الإسلامية، الرساض : دار الخريجي.

- مرتضى الزبيدي: (محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق) : ت 1205هـ، (1893) ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مصر : المطبعة الميمنية.

-مسلم : (مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) : ت: 261 هـ. (1956) ، صحيح مسلم، الذهبي، بيروت : دار إحياء التراث،.

2.6 المراجع:

- عبد الأمير الأعسم، (1998) ، الفيلسوف الغزالي، مصر: دار قباء.

- فتحية حسن سليمان ،(1964) ، المذهب التربوي عند الغزالي، ط 2 ، مصر: مكتبة نهضة مصر.

- فيصل فتحي عبد المنعم، (1981) ، "إعداد المعلم في الإسلام»، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، مصر: جامعة طنطا.

- محمد عبد السلام العجمي ، صلاح خضر، وآخرون ،(2004) ، تربية الطفل في الإسلام : النظرية والتطبيق ،ط1، الرياض : مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية.

- محمد نبيل نوفل ، (1967) ، " أبو حامد الغزالي فلسفته و آراؤه »،التربية والتعليم " رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

- محمد بسام ملص، "عرض كتاب الميسر في سيكولوجية اللعب » ، مجلة التربية تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 72.

- محمد أمين المصري، (1979) ، "لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، ط 4،بيروت ، دار الفكر.

- محمد عبد المؤمن حسين، (د.ت) ، مشكلات الطفولة النفسية، دار الفكر الجامعي، د.ط.